رائدات الحركة النسوية في العراق المعاصر

أ.م.د. فراس سليم حياوي
جامعة بابل –كلية التربية الأساسية

م.د. وفاء كاظم ماضي
جامعة بابل –كلية التربية

المقدمة :

خضع العراق لسيطرة عثمانية طويلة امتدت لقرون عدة تلتها سيطرة بريطانية مباشرة خولها إياها نظام الانتداب ،فبدأت مرحلة جديدة في حياة العراق وعلي جميع الصعد، وكان طبيعيا أن تتأثر المرأة بوصفها نصف المجتمع، بجميع معطيات الواقع الجديد بسلبه وإيجابه، واعتمد ذلك في العديد من حلقاته علي مدي وعيها الذي بدأ بالتدريج يتجاوز ما خيم عليه من جمود علي مدي مئات السنين السابقة بما في ذلك خلال العهد العثماني .

لذلك شهدت الحقبة الزمنية الممتدة للأعوام (١٩٢١ – ١٩٥٨) تطورا ملموسا وعلي كافة الأصعدة ويقف في مقدمتها التعليم ونظرة المجتمع، ومدي حاجته إليه باعتباره من النقاط المهمة التي يعتمد عليها في تطوير المجتمع، كونه أهل المرأة العراقية لطرق العديد من الأبواب أول مرة في حياتها الجديدة التي يمكن مجازاً تحديد إعلان الانتداب بداية إطارها الزمني ، ومن هذه الأبواب الصحافة النسائية التي نشأت بفعل التطورات السياسية والاجتماعية ،ونتيجة للتفاعلات المادية الملموسة للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع العراقي ، فظهرت رائدات في هذا المجال كانت أبرزهن (بولينا حسون) و (مريم نرمه) وغيرهن من الصحفيات الرائدات، وفضلا عن الصحافة، برزت رائدات في مجال الجمعيات النسوية التي برزت كظاهرة اجتماعية في الوطن العربي، بداية القرن العشرين والتي اتخذت من الأعمال الخيرية هدفا لعملها، وأن معظم الجمعيات النسوية عملت ضمن إطارها النسائي، دون المحالة إذابة الرواسب العازلة بين مجتمع الرجال والنساء، فعملت ضمن هذا الإطار علي زيادة فعالية المرأة في المستوي الاجتماعي من خلال عمل الجمعيات الذي أعطي للمرأة الثقة بنفسها وأثرها في المجتمع وجعلها تتبوأ مكانة سمحت لها بالمطالبة بحقوقها الاجتماعية. مما مكنها السعي مستقبلاً للمطالبة بحقوقها السياسية والاقتصادية التي حصلت عليها

بعد هذه الحقبة إثر سعيها الدؤوب لنيل مكانتها الاجتماعية في مجتمع كانت تعاني فيه من ضغوط اجتماعية جعلتها تعيش في عالم خاص بها، فحرم عليها الالتحاق بالمدرسة ونيل حقوقها العامة، وحين التحدث عن المساواة بين الجنسين يعتبر الأمر خرافة، فالرجل يعد هو الأصل والمرأة هي الفرع. وفي ظل هذه الظروف الاجتماعية لمعت أسماء نسائية تخطت كل الحواجز وحطمت كل القيود الاجتماعية لتسجيل أسماءها في سجل الرائدات العراقيات في مجال السياسة والعمل الصحفي والجانب التعليمي، وهذا ما تم التركيز عليه في هذا البحث الذي اعتمد علي المنهج التحليلي في عرض المادة العلمية التي اعتمد في جمعها علي مجموعة مهمة من المصادر التاريخية التي تناولت هذه الحقبة من تاريخ العراق، فضلاً عن الكتب فقد اعتمد علي مجموعة هامة من الدوريات النسائية منها بشكل خاص، والتي ظهرت في الحقبة قيد الدراسة ، والتي حفظت لنا تاريخاً مهما فيما يتعلق بالنشاط النسوي وعلي الأصعدة كافة .

بداية الحديث عن رموز مضيئة للمرأة العراقية حقبة العهد الملكي (١٩٢١ – ١٩٥٨) ، لابد لنا من فتح نافذة ولو قليلة علي الوزن الديمغرافي الذي كانت تلعبه المرأة سواء في هذه الحقبة أو الحقب السابقة (بداية القرن العشرين)، لنتمكن بالتالي من تقدير الدور الذي تلعبه في المجتمع، وهل يتناسب مع وزنها الديمغرافي أو لا ؟ .

أشارت المصادر التاريخية، والأشخاص المعاصرين للأحداث التاريخية بداية القرن العشرين، انه من الصعوبة الوقوف علي عدد صحيح لأعداد الإناث في العراق، فقد كانت تجربة إجراء إحصاء للسكان خاصة للإناث ، تواجه معارضه شعبية واسعة، وما جري عام (١٩٠٤) يؤكد ذلك عندما انفرد الوالي (عبد الوهاب باشا) وتنفيذاً للفرمان العثماني الصادر من استانبول، بإجراء تعداد خاص للإناث، من معارضة شعبية من قبل شيوخ العشائر والأهالي الذين خرجوا بمظاهرات في مناطق باب الشيخ والصدرية ورأس الساقية وفضو عرب، يشاركهم رؤساء محلات بني سعيد ومنبر علي والفضل [١]، وقد تسلح بعضاً من المتظاهرين بالقامات والخناجر والبنادق وتقدمتهم الطبول والأبواق، وهم يهتفون بالأهازيج المعبرة عن غضبهم ويناشدون في احدي أهازيجهم (سيد احمد الكيلاني) يعده من كبار رجال الدين في بغداد قائلين :

سيد احمد تلهب نيرانه

سيد احمد يضوي ديوانه

سيد احمد المذخور أنت

سيد احمد أحجي بزايدانه[٢]

وإزاء هذا الغضب الشعبي ، ألغي أمر تنفيذ إجراء إحصاء لإناث العراق والشواهد التاريخية تنقل لنا صوراً مماثلة جرت في مناطق أخري من العراق، ومنها ولاية الموصل التي قابلت قرار واليها (مصطفي يمني باشا) بإجراء إحصاء للسكان، ومنهم الإناث بغلق الأسواق والخروج بمظاهرة استنكارية كان من نتائجها أن قرر الوالي التراجع عن قراره ، وإلغاء الإحصاء [٣] .

وخلال العهد الملكي جري أكثر من تعداد للسكان [٤]، ولكن رافقت هذه التعدادات عوائق اجتماعية واقتصادية أدت أثرها دون إعطاء صورة واضحة لعدد سكان العراق، ومنهم الإناث طبعا، وعموماً فقد تزايد سكان العراق في تاريخه الحديث والمعاصر بوتيرة ثابتة، ففي غضون قرن واحد من أواسط القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين، ارتفع عدد السكان بمقدار لا يقل عن خمس مرات من مليون وربع إلي أكثر من ستة ملايين ونصف المليون[٥].

لا يتوقع المرء تحديداً دقيقاً على نحو مطلق للوزن الديموغرافي للإناث في العراق في أواخر العهد العثماني وخلال العهد الملكي فيما يخص السكان عموما لأسباب معروفة تقف بمقدمتها العادات والتقاليد المتوارثة، لكن استناداً للدراسات العلمية للرائد الدكتور (مُحَمَّد سلمان حسن)[٦]، والي عدد من التقارير والوثائق الرسمية والتي يعود تاريخها إلي ما قبل عام ١٩٤٧، يمكن تحديد الإطار العام للوزن الديموغرافي للإناث بالشكل التالي :

في أواخر العهد العثماني (١٨٦٧) حوالي ٥٠% من مجموع السكان البالغ مليون وربع المليون نسمة وحوالي ١,٨ مليون عام ١٨٩٠ [٧] . أما تقديرات عام ١٩٢٧(عهد الانتداب) فقد حددت عدد سكان العراق (٢,٩) مليون (١,٥) من الذكور و (١,٤) مليون من الإناث [٨]، فيما تشير نتائج الإحصاء الرسمي الأول في العام ١٩٤٧، إلي أن مجموع نفوس العراق بلغ ٤,٨ مليون نسمة، (٢,٣) مليون من الذكور وحوالي (٢,٦) مليون من الإناث[٩] ، وبموجب إحصاء العام ١٩٥٧ وصل مجموع سكان العراق إلي (٦,٥) مليون نسمة ، بلغ عدد الإناث منهم أقل من عدد الذكور بما يربو علي (٥١) ألف نسمة[١٠]

إن مجرد هذه الاختلافات في تقدير نسبة الإناث والذكور تؤلف واحدة من المؤشرات المهمة للخلل المتوقع في التقديرات المبكرة والإحصاءات المحددة المتأخرة للسكان وتركيبهم في العراق ويلاحظ الشئ نفسه في الدراسات القليلة عن المرأة في هذا المضمار[١١].

النساء الرائدات في مجال التعليم

مر التعليم النسوي في العراق بمراحل متعددة تأثر فيها في أثنائها بعاملي السياسة والدين ففي حقبة الحكم العثماني لم تملك المرأة من وسائل التثقيف والتعليم شيئاً يذكر، كونها كانت تعيش في ظروف متخلفة فرضها عليها تخلف المجتمع نفسه، ولهذا لم تشهد هذه الحقبة سوي أعداد قليلة من المدارس والكتاتيب التي اقتصرت علي تعليم القراءة والكتابة، وإذا ما استثنينا مدارس الأقليات غير المسلمة (١٢) فان تعليم المرأة يكاد ينعدم (١٣).

ولعل تقاليد المجتمع العراقي وعاداته المترسخة التي كانت تري في خروج الفتاة من بيتها من اجل التعليم أمرا يؤدي إلي إفسادها (١٤) هي التي وقفت وراء قلة عدد مدارس الإناث، فضلا عن أن العراق عاش بمعزل عن تيارات النهضة الفكرية والثقافية الناشئة في مصر وسوريا نهاية القرن التاسع عشر، تلك النهضة التي دعت إلي تحرير المرأة وضرورة إفساح المجال للحصول علي حقها في التعليم.

بدأ تشدد المجتمع العراقي وتعصبه تجاه التعليم النسوي يضعف ويحل محله اتجاه مغاير بفضل تيارات النهضة الفرنسية التي بدأت تنتشر في أرجاء الدولة العثمانية والتي نتج عنها فتح عدد من مدارس الإناث في أرجاء الوطن العربي (١٥) ، فضلاً عن تأثيرات النهضة الحديثة المنبعثة من بلاد الشام ومصر التي بدأت تياراتها الفكرية تجد صداها الواسع في العراق عن طريق الصحف والمجلات التي تصل للعراق ، والتي حملت بين طياتها أفكاراً ومقالات تدعو لوجوب تعليم المرأة بأقلام رواد النهضة السنوية أمثال (قاسم أمين). وقد تركت هذه الصحف والمجلات أثرها الواضح الذي نجم عنه الدعوة لفتح أول مدرسة للإناث في بغداد والتي افتتحها الوالي في العام ١٨٩٩ (١٦) في محلة الميدان الجديدة، والمعرفة باسم (إناث رشدية مكتبي) والتي كانت تضم الدراسة الابتدائية والمتوسطة وتدرس علوم القراءة ، مبادئ الحساب ، الجغرافية والتاريخ العثماني ، وبلغ عدد طالباتها (٩٥) طالبة (١٧) وكانت السيدة (أمنية مشكور خاتم) معلمة أولي للمدرسة (مديرة) تعاونها المعلمات زينب خانم، أم كلثوم خانم، مدام اليانور وفاطمة خانم (١٨).

عدّ إنشاء هذه المدرسة بمثابة حجر الأساس في حركة التعليم النسوي التي شهدت، بعد هذا التاريخ، تصاعداً تدريجياً وتطوراً ملحوظاً ،ففي العام (١٩٠٨) قامت نظارة المعارف العثمانية بافتتاح ثلاث مدارس للإناث في بغداد، الأولي في جانب الكرخ والثانية في محلة البارودية في الجانب الشرقي والثالثة في محلة باب الشيخ في الجانب الشرقي أيضاً (١٩).

ومع بداية سنوات الانتداب البريطاني للعراق شهد عدة دعوات من السيدات المثقفات إلى حكومة الانتداب والتي تدعوا إلى فتح مدارس أخري للإناث، لكن هذه الدعوات شهدت تلكأ في استجابة حكومة الانتداب البريطانية، إلى أن قامت الست (زهرة خضر) [٢٠] بتخطي كل العقبات والمعوقات وافتتحت مدرستها عام (١٩١٨) وبلغ مجموع الطالبات المنضمات إليها (٤٠) طالبة ، وقوبل عمل الست زهرة بالإعجاب لجرأتها وعزيمتها وقوتها، إلا أنها في ذات الوقت تعرضت للنقد الحاد من قبل المعارضين ولم تتلق، دعماً يذكر من حكومة الانتداب [٢١] ، واستمرت الست زهرة بالعمل في هذه المدرسة حتى العام (١٩٢٠) عندما قامت (المس بيل) بالحث لفتح مدرسة للإناث في الخامس والعشرين من كانون الثاني عرفت باسم مدرسة الإناث الرسمية. فقد قامت نظارة المعارف بالطلب من الست زهرة بغلق المدرسة وانضمت لكادر المدرسة التدريسي الذي كان مكوناً من الست (ارسيال خانم) نائبة المديرة، والمعلمات زهرة خضر، نظيرة خانم، صبرية خانم، هلن سعدي خانم، شلن سعدي خانم، افتخار خانم ، ماد بلت خانم، وجميلة خانم [٢٢]. وقد نجحت هذه المدرسة الأولي من نوعها والتي كانت تدرس مواد اللغة العربية، اللغة الانكليزية، الحساب، التاريخ، الجغرافيا، التدبير المنزلي، علم حفظ الصحة، الرياضة والعلوم القرآن، في تحقيق أهدافها المنشودة بفضل معلمات المدرسة، الأمر الذي أسهم في تشجيع حكومة الانتداب علي الاستمرار في هذا المنهج في ألوية العراق الأخرى فقامت في العام (١٩٢٠) بتأسيس مدرسة مماثلة في لواء الموصل، وثانية في لواء الديوانية، والثالثة في جانب الكرخ في بغداد [٢٣].

استمر التصاعد النسبي في أعداد المدارس الابتدائية، لكن هذا الأمر لم يسري علي التعليم الثانوي الذي لم يشهد افتتاح مدرسة ثانوية إلا في العام الدراسي ١٩٢٩-١٩٣٠ في لواء بغداد، ولم تنتمي إليها في سنتها الأولي سوي (١١) طالبة، وهنا نري من المستحسن أن نشير على نحو خاص، إلى واحدة من رائدات التعليم الثانوي النسوي في العراق، وهي السيدة(أمت السعيد) التي بذلت جهوداً كبيرة لتطوير أول مدرسة ثانوي للإناث في العراق، ثم أشرفت فيما بعد على شؤون التعليم النسوي في وزارة المعارف، لتعد بذلك واحدة من فضليات الأديبات حسب تقويم أحد الباحثين [٢٤].

إزاء الاستمرار في افتتاح مداس الإناث، واجهت وزارة المعارف مشكلة توفير كادر للتدريس بهذه المدارس، فقامت عام (١٩٢١) بإنشاء صف للمعلمات في مدرسة البنات المركزية في بغداد تم تغيير اسمه في وقت لاحق إلى دار المعلمات الأولية التي كانت تستقبل خريجات المدارس الابتدائية اللواتي يقضين في الدار سنتين دراسيتين، وضم الرعيل الأول من خريجات هذا الدار الطالبات:

حسيبة الشيخ داود، فهيمه إبراهيم، مديحه توفيق برتو، نزهت حميد، مكية صالح، حسيبة نجيب، عفيفة توفيق وصيفة لطفي، وصيفة واصف، مقبولة عزت، خديجة صالح وجميلة علي[٢٥].

شهدت الحقبة التاريخية الممتدة قبل العام ١٩٣٢ وحتى العام ١٩٤٥ تطورات سياسية، اقتصادية واجتماعية تركت أثرها الواضح على الوضع الاجتماعي للمرأة فقد شهدت انعطافة جديدة في تاريخ التعليم النسوي ونقطة تحول ملموسة في مسيرتها ، التي لم تكتفي بالفرص التعليمية الممنوحة لها، بل سعت لطرق أبواب التعليم العالي، الذي كان مجرد التكفير بولوج هذا المضمار يعني سيرها بطريق يحمل عقبات كثيرة، فالقبول بالكليات كان مقتصرا على الذكور وذلك لوضع المرأة الاجتماعي فإذا ما فكرت الفتاة بإكمال تعليمها العالي اضطرت للسفر خارج العراق، على الرغم من أن قانون الكليات الأساسي لم يكن يعارض انضمام الإناث للكليات، لكن المسئولين وأساتذة الكليات كانت تحكمهم التقاليد والعادات المتوارثة التي تعارض دراسة الإناث المختلطة مع البنين، لذلك شهدت هذه الحقبة سفر عدد من الفتيات إلى خارج العراق لإكمال تعليمهن العالي، وهنا تسجل السيدة (مديحه صالح ذكي) كأول عراقية رائدة تسافر إلى الخارج، وعلى نفقتها الخاصة، ففي العام ١٩٢٦ سافرت إلى فرنسا لدراسة طب الأسنان ، وبعد عشرة أعوام أي في عام ١٩٣٦ سافرت مرة أخرى للحصول على شهادة الدراسات العليا في طب الأسنان، وشهد العام ذاته أي عام ١٩٢٦ تحولاً أخر بسفر أول بعثة حكومية تضم سيدتين هما الرسامة السيدة (مديحه ياسين عمر) والسيدة (مارتا عساف)[٢٦].

علي أن التطور الأكثر وضوحاً جاء في العام (١٩٣٣) من قبل الطالبة (ملك غنام) التي سجلت وبكل فخر، بعدها أول عراقية تدخل الكلية الطبية رغماً عن العقبات الكبيرة التي لاقتها عند قبولها في الكلية، فيذكر والدها الصحفي الرائد (رزوق غنام) انه تقدم بطلب عام ١٩٣٢ إلي عمادة الكلية لقبول ابنته، لكن طلبه رفض ،فطرق بعدها أبواب مدير صحة بغداد التي رفضت هي الأخرى هذا الطلب الذي يعد الأول من نوعه، فما كان منه إلا أن يتشرف بمقابلة الملك فيصل الأول، الذي أصدر بنفسه قراراً يقضي بقبول ابنته كأول طالبة في الكلية الطبية [٢٧]، وفي خطوة متشابهة سجل العام (١٩٣٦) التحاق أول طالبة في كلية الحقوق هي (صبيحة الشيخ داود) [٢٨] .

وكانت هذه الخطوة عاملاً مشجعاً لبقية الإناث لطرق أبواب التعليم العالي من جهة ومحفزاً لوزارة المعارف التي شملت انتماء الطالبات للكليات ، ففي العام ١٩٣٦ فتحت دار المعلمين العالية أبوابها أمام الطالبات مسجلة انتماء (١٥) طالبة تخرجت في العام الدراسي ١٩٤٠- ١٩٤١ وكان من أبرزهن: بدرية مُحَمَّد علي الهاشمي، بدرية مُحَمَّد علي الوكيل، أليس سمعان ، عزة الاسترابادي، لطيفة متي كرومي، زهرة باقر

ألجلبي، جوز فين صالح ، هيلة مراد، وفي العام الدراسي ذاته (١٩٤٠-١٩٤١) تخرجت أول طالبتين من كلية الصيدلة والكيمياء، هما الآنسة (جوزفين برجوني) التي تعد أول صيدلانية تمارس العمل الحر والسيدة (رحيمة يوسف) [٢٩] .

شجعت هذه الخطوات الإيجابية عمادات الكليات الناشئة حديثاً علي فتح أبوابها للإناث أسوة بالذكور، فكلية الهندسة المؤسسة في العام ١٩٤٢، استقبلت في العام ١٩٤٦ طالبتين هما (سعاد علي مظلوم) و (جوزفين غزالة) اللتان تخرجتا عام ١٩٥٠ [٣٠] وخطت كلية الآداب والعلوم التي تأسست عام ١٩٤٩ ، خطوة مماثلة عندما انضمت إليها في سنتها الاولي (١٤) طالبة تخرجن في الدفعة الأولي المتخرجة عام ١٩٥٤/٩٥٣ وكان من أبرزهن :

جانيت توفيق قصير، جوليا غريب، حياة جميل حافظ، خالدة ضياء الدين، سافرة جميل حافظ، سعاد حبيب سرسم، ناهده صبري رسام، نجله مظهر، نصريه نعمان ألأعظمي، وديعة طه النجم وفيوليت سليم .

أما كلية التجارة والاقتصاد المؤسسة في العام ١٩٤٧ فقد تخرجت الدفعة الأولي من خريجاتها في العام ١٩٥٠-١٩٥١ فقد خرجت دفعة من الطالبات أبرزهن : رحمة طويق، جوليت حسقيل ناجي وسمحة يامين [٣١] .

حفز هذا التوسع الكبير في أعداد الطالبات المنتميات للكليات من جانب ولسد النقص الحاصل في أعداد المعلمات والمدرسات من جانب آخر ، وزارة المعارف لتأسيس معهد الملكة عالية الذي سار علي غرار نهج دار المعلمين العالية ، الذي رفعت درجته إلى كلية في العام ١٩٤٨، والتي عرفت باسم الملكة عالية، والتي استقبلت في سنتها الأولي (٨٩) طالبة، استمرت بالتوسع حتى أبدل اسمها بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ باسم كلية التحرير للبنات [٣٢]لتكون بذلك أول كلية رائدة للبنات .

هذه ومضات من الرائدات الأوائل في مجال التعليم النسوي حقبة العهد الملكي.

الرائدات في مجال العمل الوطني والسياسي

تعد ثورة العشرين من أهم الأحداث، إن لم نقل علي رأسها في مجال الأحداث السياسية بوصفها نقطة تحول كبري في حياة العراق السياسية في بداية مرحلة ما بعد إعلان الانتداب. فبقيام هذه الثورة انتظم الشعب العراقي بأجمعه وانطلقت قواته لقتال الانكليز، وفي خضم الثورة برزت المرأة التي

سجلت قسماً من المشاركة علي الرغم من وضعها الذي لم يسمح لها بأداء دور مباشر في معارك الثورة، إلا إن مساهمتها جاءت في ضوء إمكاناتها من ناحية وموقف المجتمع من مشاركتها من الناحية الأخرى، فعلي الرغم من ظروف التخلف التي عاشتها المرأة، والتي عطلت الكثير من طاقاتها لكنها أدت أثراً مشرفاً في سلسلة كفاح الشعب العراقي ونضاله ضد الاستعمار فالمرأة الريفية وعلي الرغم من وضعها المتخلف والمتردي ومسؤوليتها المتمثلة بقيامها بالأعمال الحقلية والمنزلية ، فقد سارت خلف الثوار حاملة زادهم وأمتعتهم وجالبة الماء لساحات القتال ، مثيرة حماس الثوار بزغاريدها التي حثت علي النخوة والجهاد ، والتاريخ يحفل بالأمثلة الكثيرة علي بطولة المرأة الريفية ، ولعل أبرزهن شاعرة ثورة العراق الكبرى الشاعرة (جلثومة) من عشيرة بني عارض [٣٣]، والتي كانت تقطن ناحية الرمثية، فقد شارك ثلاثة من أولادها في معارك الثورة فضلا عن زوجها وكانت تقف وسط المعركة عند اندلاعها مشاركة الثوار جهادهم وهي تنشد قائلة :

وين أخوتي الطيبين أهل الحمية انطو تلف للدين بالمية مية

من عادة الطيبين تنطي ضحية

وفي أحدي المعارك قتل ولدها الأكبر ، فوقفت علي جثته وهي تنشد أبياتاً شعرية تحييه من خلالها علي شجاعته فتقول :

عفية اوليدي شيال راسي ردتك ترد ذولة الجواسي

وبموتتك كويت باسي [٣٤]

عقب ذلك قتل زوجها في واقعة العارضيات الأولي، فرثته قائلة :

عمرك كضيته بعز يميمر اولا واحد اليدناك يكدر

وبعزمك اتعارج العسكر ولموطنك معرض مكنطر

الفخر الك جاورت حيدر

وفي معركة العارضيات الثانية قتل ولدها الثاني (جبر) فلم يثن ذلك من عزيمتها ، فندبته قائلة :

شلتك ابطني تسعة اصحاح واحفظتك من اجله شمس ضخصاح

الما بين كومك كمر وضاح ردتك لمثل اليوم سفاح

تطارد (الصوجر) اهل الأرماح شيال راسي ابيوم الصياح

وظلت هذه المرأة البسيطة تثير الحماس في نفس ولدها المتبقي (حاتم) الذي لم يترك سوح النضال حتى اليوم الأخير للثورة بتشجيع مباشر منها [٣٥] .

لم تقتصر الشواهد علي مشاركة (جلثومة) ، فهناك (انجيدة) العراقية التي فقدت زوجها في واقعة البواحر، وكان لها ولد لم يتجاوز عامه الثامن عشر، ولم يمض علي زواجه سوي سبعة أيام، كانت تحثه للنزول لميدان المعركة ليحل محل والده من خلال زغاريدها التي كانت تطلقها لإثارة حماسة الثوار في آن واحد، وقتل ولدها هذا في معركة القطار ووسط نيران المعركة حملته وهي تزغرد وتهوس قائلة ((عربيد اسمك أمك يا هيبة)) [٣٦] .

أدت الأهازيج والهوسات الشعبية التي أطلقتها المرأة الريفية خلال معارك الثورة أثراً مميزاً في إثارة وبث روح المقاومة ضد الانكليز، فعندما أمر شعلان أبو الجون) أفراد عشيرته باقتلاع خشب سكة الحديد الممتدة من السماوة حتى الرميثة ساهم رجال ونساء العشيرة في هذا العمل وعند وصول قطار السلطة المحتلة رأتهم امرأة فصاحت يا عمام فقالوا نعم ،فأنشدت هوسه تقول فيها (حل فرض الخامس كومولة) أي أن هذا موعدكم مع ما فرضه الله عليكم من الجهاد فهو عند المسلمين الفرض الخامس ومن تقاعس عنه ، ليس منهم [٣٧] .

ولم تقل (ونسه) شجاعة عن (جلثومة) أو (انجيده)، فبعد ذهاب والدها اعزلاً لساحة القتال ومشاهدته نيران المعركة وطائرات العدو، عاد إلى البيت مسرعاً فعاتبته ابنته علي موقفه هذا، فعلله لعدم امتلاكه السلاح للمشاركة في القتال، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى شيخ عشيرتها الذي زودها بسلاح لوالدها الذي استشهد علي إثر ذلك في ساحة المعركة، وبعد سماعها نبأ استشهاده زغردت وحمدت الله الذي شرفها بين قومها لاستشهاد والدها الذي لبي فتوى أئمة الدين وفدي الوطن [٣٨] .

هذه الأمثلة هي جزء من سجل بطولي حافل لنضال المرأة العراقية في الريف التي نزلت إلى ساحات القتال للمشاركة في قتال الانكليز وبما تهيأت لها فرصة ، علي أن مشاركة المرأة الريفية جاءت علي نحو أفضل من مشاركة المرأة في المدينة، وهذا تابع من طبيعة معيشة المرأة الريفية جاءت على نحو أفضل من مشاركة المرأة في المدينة، وهذا تابع من طبيعة معيشة المرأة الريفية التي ما برحت مشاركة أخيها الرجل في

الأعمال الحقلية ونزولها إلى ميدان العمل دون معوقات ، وهي سافرة الوجه ، بينما اختلف الوضع عن ذلك في المدن إذ نزلت المرأة هنا إلى ميدان الجهاد، وبالصورة التي رسمتها لها طبيعة الحياة المدنية من جهة وتماشياً مع الظروف الاجتماعية التي أسدلت ستاراً بين المرأة وبروزها في المجتمع من جهة أخرى، فكانت مشاركتها تدريجية غير مباشرة ، وصامتة أن جاز القول ، فقد سجلت أيام الثورة مواقف للمرأة في كبريات المدن العراقية، ولاسيما في بغداد تحديداً فقد وقفت قسم منهن إلى جانب أزواجهن للولوج في ساحات القتال، حتى ولو على حساب اعتقالهم فحسبما أكد قسم من المصادر فان مجموعة من السيدات من بينهن عقيلة الشيخ احمد داود [٣٩]، ألفت لجنة لعضد الثورة من خلال جمع الأموال للمجاهدين ونصرتهم عن طريق جمع التبرعات العينية والنقدية لهم، والتقت اللجنة، كذلك بقسم من السيدات العراقيات وحثهن على استحسان الإسهام في هذه الثورة، مما حظي باستحسان وتشجيع قيادة الثورة [٤٠] .

تمثل هذه المساهمة المتواضعة العفوية في الغالب للمرأة العراقية في ثورة العشرين خطورة علي درب إدراك تلك المرأة لشخصيتها وإدراك غير متكامل لحقوقها ، رافقها شعوراً لا يخلو من قدر كبير من الإدراك الواعي بظلم المستعمر، مما مهد الطريق، علي نحو أو آخر الطريق أمام الواعيات منهن للربط بين واقعهن المزري مع النضال الوطني السياسي العام ، وهذا يمثل، دون شك، تحول إيجابياً علي درب تحرك المرأة العراقية .

أثر التقدم الذي أحرزته المرأة إثر انخراطها في مجال التعليم الثانوي والعالي، فقد ظهرت طبقة مثقفة وواعية من النساء اللواتي استوعبن التطورات السياسية التي كانت تحيط بالعراق خاصة والوطن العربي عامة، لذلك حفظت لنا السجلات والوثائق أسماء لنساء عدة ساهمن بالانتفاضة التي وقعت أحداثها داخل العراق، فقد كان للمرأة مساهمة خاصة في انتفاضة عام ١٩٥٢ تمثلت بمشاركة عدد من طالبات الكلية في أحداث الانتفاضة الأمر الذي عرضهن للاعتقال ثم الفصل من مقاعد الدراسة نتيجة لاشتراكهن في الاضطرابات التي رافقت الانتفاضة وكان من بينهن: بلقيس شرارة وسافرة جميل حافظ من كلية الآداب والعلوم وبشري عبد الجليل برتو من كلية الصيدلة والكيمياء فضلاً عن أخريات من كليات أخرى وهن سعاد سعيد مُحَّد، سهام إبراهيم الخالد، وديعة النعيم وثمينة ناجي يوسف[٤١] .

لم يقتصر الأمر عند الاعتقال والفصل من الدراسة ، بل تعداه للمحاكمة أمام المجالس العرفية، وهذا ما تعرضت له كل من (باكزة أمين زكي وحسيبة حسين القرة غولي) الطالبتان في كلية الآداب وتم الإفراج عنهن بعد المحاكمة، بعد أن منعن من إكمال دراستهن [٤٢] .

شجعت هذه المساهمة المتميزة للمرأة بهذه الانتفاضة، بقية النسوة، خاصة طالبات الكليات، للإسهام بالأحداث المستقبلية التي وقعت بالعراق فعندما وقع العراق علي حلف بغداد ثار الشعب وبدأ الإضراب يعم مناطق العراق كافة والذي بدأ في ١٥/كانون الثاني /١٩٥٥، واستمر لمدة أسبوع، أثراً متميزاً، من خلال مشاركتها بالمظاهرات وإخفاء الشعارات المرفوعة في المظاهرات تحت عبيهن وبرزت منهن حسيبة شايع الزبيدي ومعينة نايف الغنام ونوار حلمي (٤٣) .

وبعد أن وقع العدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦، فقد عمت المظاهرات المؤيدة لمصر في نضالها ضد المستعمرين، فشهدت شوارع بغداد وبقية الألوية نشاطات موسعة كان للمرأة فيها دور بارز وواضح ، ففي منطقة الحي في العاصمة بغداد، قام الأهالي بعصيان مسلح ساهمت فيه المرأة مساهمة عفوية فقد قامت إحدى نساء الحي بالتصدي لرجال الشرطة الذين طوقوا المنطقة بالطابوق وراحت تهتف (عاش الوطن روحي فداء للوطن)، ولكن الشرطة جابهت الموقف بقوة فسقطت هذه المرأة شهيدة هي وعدد من نساء الحي، في حين كانت الإصابة نصيب عدد آخر من النسوة(٤٤) وتكرر هذا الأمر فيما يخص المظاهرة التي قامت في البصرة والتي كان نصيب المرأة الاعتقال ، ومنهن (ليلي رشيد)، في حين تصدت الشرطة للمظاهرة التي قامت في الحلة بقيادة (معينة النايف) والتي بدأت من ثانوية الحلة وطافت في شوارع المدينة تأييداً لمصر في عدوانها ضد المستعمرين .

إن مساهمة المرأة العراقية في هذه الانتفاضات جعلها تدرك أثرها فقد أعطاها زخماً لخوض مرحلة جديدة في نضالها السياسي من اجل نيل حقوقها السياسية التي لم تنلها كاملة إلا بعد هذه الحقبة بسنوات عديدة .

الرائدات في مجال الصحافة

شهدت حقبة الحكم الملكي البداية الحقيقية لنشوء الصحافة النسوية وأن نشوءها قد جاء متأخراً بالمقارنة مع نشأتها في مصر وبلاد الشام فقد كانت هذه الصحف سباقة في الدعوة لقضية تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها .

من الثابت تاريخياً أن مجلة (ليلي) لصاحبتها(بولينا حسون) ذات الأصل الفلسطيني، تعد الرائدة في مجال الصحف النسوية العراقية، فهي المجلة الأولي في العراق التي تعني بحقوق المرأة، وصدر عددها الأول في ١٥/ تشرين الأول / ١٩٢٣ (٤٥). اهتمت المجلة بالموضوعات الاقتصادية والسياسية والتاريخية، واتسم قسم من مقالاتها بالجراءة والعمق في سياق الزمان والمكان .

تعد مجلة (ليلي) لصاحبتها (بولينا حسون) نقطة ضوء ساطعة في بداية تحرك المرأة العراقية، ونورد هنا رأي احد المتخصصين المعروفين الدكتور (خالد الراوي) الذي عدّ مجلة (ليلي) برأيه من خيرة المجلات التي صدرت علي الإطلاق، ولا تضاهيها حتى مجلات اليوم علي الرغم من التقدم الهائل في ميدان الطباعة والتحرير(٤٦).

بانتهاء السنة الثانية من عمر (ليلي)، نوهت صاحبتها في احد أعداد جريدة (العالم العربي) أن عدد المجلة الأول للسنة الثالثة سيصدر في الشهر القادم ولكن هذا التنويه لم يطبق لثقل الضغط الذي تعرضت له صاحبة المجلة، ولكثرة الحملات الصحفية المقامة ضدها، فاضطرت الآنسة بولينا حسون إلى التوقف عن إصدار مجلتها التي عاشت سنتين، فحزمت أمرها وغادرت العراق إلى فلسطين في العام ١٩٢٥، ولم تعد بعد هذا التاريخ للعراق (٤٧) .

تجمع حالة (ليلي) بين قطبين ينصبان في مجري واحد، المرأة الفلسطينية والمرأة العراقية، تجسدنا في شخصية نسائية متميزة جمعت في ذاتها أبعاد الصورة القائمة في حين حاولت أن تخترق عبثاً سور العين المنيع بأدوات متواضعة ، لتصطدم بواقع مؤلم دفعتها إلى ترك العراق إلى الأبد لكن التاريخ أنصفها بتسجيله لها ذلك الأثر الرائد الذي تجاوزت بيه الجميع بمن فيهم السيدة (مريم نرمه) (٤٨) .

بتوقف مجلة ليلي عن الصدور أثر مهاجمة صاحبتها من قبل المتعصبين توقفت الصحافة النسائية وبقيت صامتة حوالي احد عشر عاماً ، ولكنها عادت للظهور أثر التطور الذي رافق الفن الطباعي للصحف من عام (١٩٣٠) ، ففي عام ١٩٣٦ صدر العدد الأول من مجلة (المرأة الحديثة) لصاحبتها (حمديه الأعرجي) ورئيس تحريرها (قاسم راجي) تعرضت المجلة في أعدادها إلى مواضيع مختلفة منها ما يتعلق بصحة الأم والطفل والمرأة وتطورها والأحوال الاجتماعية فضلاً عن المواعظ والفكاهات والكاريكاتير وباب التدبير المنزلي (٤٩) لقيت المجلة ترحيباً من الصحف الأخرى، فهذه جريدة (العراق) تثني علي المجلة وصاحبتها، وتلقت المجلة تبرعات مالية أسهمت في تواصل صدور المجلة، وكان علي رأسهم الملكة عالية والأميرة راجحة ومع هذا لم تستطع المجلة من مواصلة عملها إذ توقفت بعد صدور ثمانية أعداد منها فقط وربما يعود سبب ذلك إلى عدم قدرة الصحف النسوية علي منافسة المجلات والجرائد آنذاك لعدم وجود الفئات التي تهتم بقراءة هذه المجلة (٥٠) .

بتوقف هذه المجلة عن الصدور، صدرت مجلة بديلة عنها صدر العدد الأول في بغداد في ٢٩/آب/١٩٣٦ تحت عنوان (مجلة فتاة العراق) لصاحبتها (حسيبة راجي) ورئيس تحريرها (فاضل قاسم

راجي). تعرضت المجلة في أعدادها إلى موضوعات مختلفة منها الاجتماعية كموضوع السفور والحجاب، والموضوعات السياسية المتعلقة بالحكومة العراقية، فضلا عن المواضيع المتعلقة بالتربية والتعليم وركن الإعلانات وصفحة الطالبات، وهي من صفحات المجلة الثابتة التي تحررها أقلام المدارس وتتناول مواضيع مختلفة(٥١). استمر صدور المجلة أربع سنوات توقفت بعدها عن الصدور نهائياً لأسباب لم تعلنها إدارة المجلة

وبعد عام من صدور مجلة فتاة العراق ، أصدرت الصحفية الشهيرة (مريم نزمة) (٥٢) جريدة أدبية ف ٦/أيار/١٩٣٧ عرفت باسم (جريدة فتاة العرب)، اهتمت الجريدة بمشاكل المرأة الاجتماعية وخاصة موضوع التعليم، صدر من الجريدة (٥٢) عدداً فقط، فقد توقفت بعدها عن الصدور ولم يمضي علي صدورها سوي سبعة أشهر فقط، وعللت صاحبة الجريدة أسباب التوقف بالخسارة المادية التي تعرضت لها والتي بلغت (٤٥) ليرة ذهبية (٥٣) .

مع نهاية الحرب العالمية الأولي، وبتوقف الصحف النسائية السابقة عن الصدور، ظهرت صحف جديدة منها مجلة الرحاب التي صدر العدد الأول منها في بغداد في ٢/حزيران/١٩٤٦ لصاحبتها ومديرتها (أقدس عبد الحميد) ومديرها المسئول المحامي (محمود عبود الخفاف) استمرت بالصدور بشكل منظم عامين ثم صدرت في فترات متقطعة حتى ألغي امتيازها في ١٧كانون الأول ١٩٥٤ (٥٤).

عالجت المجلة في أعدادها مواضيع متنوعة ، منها السياسية التي تناولت المؤتمرات والأحداث الجارية، أما الاجتماعية فقد تكرست لمشاكل الزواج والطفولة وغيرها فضلاً عن تناولها المواضيع التاريخية والمحلية وبعد عامين من صدور هذه المجلة، صدرت مجلة جديدة في أيلول من العام (١٩٤٨) بعنوان (لمجلة بنت الرشيد) لصاحبتها ورئيسة تحريرها الآنسة (درة عبد الوهاب)، ومديرها المسئول المحامي (راشد حميد العزاوي)، اهتمت المجلة بنشر الموضوعات المتعلقة بالحياة الزوجية، والموضوعات الاجتماعية والأدبية، وقد غلبت المواضيع الفنية علي المجلة التي كادت أن تكون مجلة فنية بحتة. توقفت المجلة عن الصدور بعد عددها الرابع فقط (٥٥) .

ولعل أبرز مجلة صدرت في هذه الحقبة هي (مجلة الاتحاد النسائي العراقي) ، التي صدر عددها الأول في مايس ١٩٥٠ لصاحبتها السيدة (آسيا توفيق وهبي) ورئيسة تحريرها (سهيلة منذر) ، وكانت المجلة لسان حال الاتحاد النسائي العراقي الذي يمثل الجمعيات النسوية العراقية، تميزت المجلة عن غيرها من الصحف النسوية العراقية الصادرة خلال حقبة العهد الملكي بتعدد موضوعاتها التي لم تقتصر علي المواضيع المتصلة بعالم المرأة، بل تعدتها إلى موضوعات عامة سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية، وكانت

المجلة حريصة علي نشر أبرز نشاطات الجمعية النسوية ونشر التقارير التي تعطي صورة واضحة علي نشاط هذه الجمعيات وبالأرقام الدقيقة (٥٦) .

تميزت هذه المجلة، عن غيرها، بطريقة تحريها الجيدة، وقلة الأخطاء المطبعية وغزارة موضوعاتها، فكانت بمثابة السجل الذي حفظ لنا أبرز نشاطات الجمعيات النسوية في تلك الحقبة، والتي لم تتوفر في المصادر الأخرى .

استمرت هذه المجلة بالصدور حتى ألغي امتيازها في ١٧ كانون الأول/١٩٥٤ ، وعاودت الصدور في العام ١٩٥٨، لكنها سرعان ما توقفت بعد أربعة أشهر .

تميزت الحقبة موضوع البحث بتطور الوعي الثقافي للمرأة، لكن المجلات عانت من ضعف مضمونها وموضوعاتها الهامشية والمتعلقة بالمرأة في غالب موضوعاتها باستثناء مجلة الاتحاد النسائي العراقي التي تجاوزت المألوف في الموضوعات للتطرق لمواضيع شتي وبهذا تكون المجلة الرائدة بين المجلات الأخرى (ليلي) قد تميزت عن غيرها بطرقها لعدد من المواضيع الاقتصادية والسياسية مثل حق المرأة الانتخابي في وقت لم تنل فيه المرأة تحررها الاجتماعية .

الرائدات في مجال الجمعيات النسائية

بتاريخ ١٩٢٣/١١/٢٤ ولد أول نادٍ نسائي في العراق ، إثر دعوات الشاعر الزهاوي لتحرير المرأة، فكانت الآنسة (أسماء الزهاوي) رئيسة للنادي، والتي حاولت الاتصال بقسم من السيدات أمثال السيدة (نعيمة السعيد) شقيقة جعفر العسكري وعقيلة (نوري السعيد) والسيدة (نعيمة سلطان حمودة) عقيلة الشيخ احمد داود والآنسة (حسيبة جعفر بك) والآنسة (بولينا حسون) صاحبة مجلة (ليلي) . ركز النادي جهوده في أمور ثلاثة، وسعي لتحقيقها بكل السبل المتاحة وهي :-

١. فتح دورات لتعليم الأميات .
٢. خياطة الملابس للنساء الفقيرات .
٣. تربية وتعليم عدد من الفتيات اليتيمات (٥٧).

اعترض رجال الدين ، وعدد من شخصيات المجتمع البارزة علي فكرة تأسيس النادي بمقالات نشرت علي أعمدة الصحف والمجلات فضلاً عن الضغط علي عضوات النادي ومناصريه ،فقد عدوا

إنشاء النادي أمراً مخالفاً لتعاليم الدين الإسلامي، ولم يكتفوا بهذا بل وكونوا وفداً من رجال الدين لمقابلة الملك فيصل الأول شخصياً طالبين منه غلق النادي فاستجاب الملك لطلبهم تقديرا منه لوجوب امتصاص نقمة رجال الدين، مع العلم انه شجع النادي في البداية وتبرع من اجل شراء دار ليتخذه النادي مقراً له(٥٨).

بهذا أغلق أول نادي نسوي عراقي أبوابه لعدم استطاعته مواجهة خصومه من جهة، وعدم تقبل المجتمع لهذا النادي من جهة أخري، وقد كانت للنادي نشاطات خارجية، وأن كانت ضئيلة ، لكن هذه النشاطات جاءت جزءاً من عمل النادي الذي عد فرعاً مستقلاً للاتحاد النسائي العربي، ففي المؤتمر النسائي المنعقد في دمشق في العام ١٩٣٠، أرسل النادي من يمثله في المؤتمر وهن السيدة (أمينة الرحال) و (جميلة الجبوري) و (ماري عبد المسيح) (٥٩)، وقد كانت لهذه المشاركة وقع حسن لأنها المرة الأولي التي تخرج فيها المرأة العراقية بنشاطها من النطاق المحلي إلي النطاق العربي.

ومن النساء الرائدات في هذا المجال السيدة (سارة الجمالي) عقيلة السيد فاضل الجمالي التي عزمت علي تأسيس جمعية لمحاربة المسكرات وإنقاذ مدمني الخمر، ومحاربة تجار الخمور في العام ١٩٣٩، حددت الجمعية أهدافها بالعمل لبعث أيادي عاملة قوية، وإعداد أدمغة نيرة جبارة تقاوم سم السكر وتعمل علي مكافحة الخمور حفاظاً علي نمو العقل الصحيح، لذلك أدركت أن هناك قاعدة هرمية تمثل مشاكل وأمراض المجتمع وهي الفقر، المرض ، الجهل ، لذلك ارتأت هيأت الجمعية عام ١٩٤٥ إلى إبدال اسم الجمعية إلى (جمعية مكافحة العلل الاجتماعية) . التي كان لها نشاطاً متميز في هذا المضمار فعملت وبالتعاون مع الحكومة بزيارة سجون النساء والمدارس الإصلاحية ، وعملت بمثابة الباحثة الاجتماعية (٦٠).

ومن النشاطات البارزة لهذه الجمعية، هي افتتاح مدرسة ثانوية مسائية للإناث ومعهد خاص لفاقدي البصر ومدرسة إصلاحيات للإناث، ومدرسة خاصة لذوي العقول المتخلفة ومشغل خياطة لتعليم الفتيات فن الخياطة .

أما أبرز من عملت في هذا المجال فهي السيدة (آسيا توفيق وهبي) التي أسست الاتحاد النسائي العراقي في العام ١٩٤٤، والتي عملت جاهدة من اجل رفع المستوي الاجتماعي والاقتصادي للمرأة العراقية فقد قامت بإصدار مجلة الاتحاد النسائي التي أسهمت بإيصال صوت المرأة العراقية عربياً وعالمياً

واستطاعت الحصول علي ركن في الإذاعة العراقية عالجت من خلاله الموضوعات المتعلقة بمشاكل المرأة العراقية [٦١].

كما عملت عضوات الاتحاد علي إنشاء مستوصفات خاصة لمعالجة ورعاية الحوامل الفقيرات وبأحسن الطرق الصحية ومد يد العون لمعاهد العميان، وكان الاتحاد هو الجهة الوحيدة التي بذلت جهوداً مميزة للمطالبة بحقوق المرأة السياسية، وذلك عن طريق نشر المقالات والتقدم بالمذكرات لذوي الشأن .

فضلاً عن النشاطات المحلية، فقد كان للاتحاد نشاطات قومية من خلال الإسهام في الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ من خلال تقديم الهدايا والأطعمة والألبسة للثوار، فضلاً عن مد يد العون لمصر إثر إعلان العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦، والمشاركة في إسعاف المنكوبين في الثورة الجزائرية[٦٢].

لقد هدفت رئيسة الاتحاد من خلال أعمال الاتحاد إلى رفع مستوي الشعب ، وخاصة من الوجهة الصحية والاجتماعية والثقافية ، وسلك السبل للنهوض بالأمة إلى أسمي درجات الفلاح .

الخاتمة:

خضعت المرأة العراقية لمجموعة من المؤثرات التي لعبت دوراً كبيراً في رسم صورتها في المجتمع، ومع ذلك فقد أثبتت حضورها الواضح والمستمر فيه، ففي المجال السياسي لعبت القصائد والهوسات التي كانت تنشدها المرأة دورها في إلهاب حماس المقاتلين، وبشكل خاص في ثورة العشرين، وإثر التطورات التي لحقت بالظواهر الاجتماعية – الوطنية، فقد برز دور جديد للمرأة رافقه تركها للحجاب الذي لم يمثل خروجا عن القيم الأخلاقية بقدر ما كان تحولاً في طريقة التعبير عن تلك القيم فأصبحت الوطنية بوصفها قيمة أخلاقية عليا تحتل مكانها إلى جانب القيم الأخلاقية الأخرى التي طالما تمسك بها المجتمع العراقي، ومن هنا جاءت مشاركة المرأة المتميزة في الانتفاضات العراقية في الأعوام ١٩٥٢-١٩٥٦ .

أما في جانب التعليم ، فقد تخطت المرأة في هذه الحقبة جميع الأسوار لتلتحق بركب التطور فجاء التحاقها بالمدارس الثانوية، ومعاهد إعداد المعلمات ثم تجاوزتها لتلتحق بالكليات التي استقبلت ، وللمرة الأولي ، النساء في صفوفها لتسجل حضورها المتميز إلى جانب الرجل الذي كان مؤيدا لها في بعض المواقف، ومعترضا في مواقف أخري لأن العادات والتقاليد كانت تجد في خروج المرأة للتعلم أو

العمل خارج المنزل خرقاً صارماً لتقاليد المجتمع التي تعد البيت هو مكان المرأة المناسب وانعكس هذا التقدم في الجانب التعليمي، على مجال العمل الصحفي الذي لمسنا فيه تطوراً واضحاً جداً في ظهور عدد من الصحف النسوية التي كانت ظاهرة جديدة في المجتمع العراقي الذي لم يألف هذا التطور الصحفي علي يد مجموعة من السيدات الرائدات التي جاوز البعض منهن العمل الصحفي إلى تأسيس جمعيات اتخذت من العمل الخيري طابعا لعملها الاجتماعي .

إن الأسماء اللامعة التي سلطنا عليها الضوء علي جانب منها ، وفي بعض المجالات الاجتماعية، تستحق منا النساء بشكل خاص أن نقف أمام ما قامت به وما واجهته من تحدي كل تقدير واحترام وتثمين لهذا الجهد العظيم الذي فتح الباب واسعاً أمام المرأة العراقية لتثبت نفسها في المجتمع وتستحق أن تكون نصف المجتمع .

الهوامش

(١) نمير طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ -١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية ،١٩٨٤، ص ٢٥٦ .

(٢) خيري أمين العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، بغداد،د.ت.ص٩٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٥-٩٦؛ نصير طه ياسين، المصدر السابق ، ص ٢٥٦.

(٤) جري إحصاء تقديري عامين ١٩٢٧و١٩٣٤، ثم أجري أول تعداد منظم لعام ١٩٤٧، ثم جري تعداد يعد الأفضل عام ١٩٥٧.

(٥) الجهورية العراقية، وزارة الداخلية. مديرة النفوس العامة، المجموعات الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧، مطبعة الزهراء، بغداد، د.ت،ص (ب) من المقدمة .

(٦) نشر الدكتور مُحَمَّد سلمان حسن باكورة أعماله المتعلقة بالاقتصاد العراقي في مجلة الثقافة الجديدة أواخر عام ١٩٥٩، ومن ثم ضمنها في كتابة الموثق في التطور الاقتصادي في العراق الذي نشره في بيروت عام ١٩٦٥.

(٧) مُحَّد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق ١٨٦٤-١٩٥٨، الجزء الأول، بيروت، ١٩٦٥، ص٥٣.

(٨) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، ملف رقم ٣١١/١٢١٢، وثيقة رقم ١١٨.

(٩) المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧، ص (ب) من المقدمة .

(١٠) المصدر نفسه ، ص (ج) من المقدمة .

(١١) ينظر علي سبيل المثال لا الحصر الأرقام الواردة في كتابي الدكتورة نزيهة الدليمي وصبيحة الشيخ داود، وهي تختلف حتى عن معطيات الإحصاءات الرسمية، نزيهة الدليمي، المرأة العراقية، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٢، ص٦، صبيحة الشيخ داود، أول الطريق إلي النهضة النسوية في العراق، بغداد، ١٩٥٨، ص ٣٢٨.

(١٢) من هذه المدارس مدرسة الراهبات الفرنسيات الابتدائية المؤسسة في العام (١٨٧٨) من قبل بعثة الراهبات الفرنسيات، وكانت تسير علي المناهج الفرنسية المسيحية، وتدرس اللغات الفرنسية الإنكليزية والعربية، وكان لها فرعان في بغداد، الأول في منطقة الباب الجنوبي، والثاني في الكرادة الشرقية، فضلاً عن فرعيهما في البصرة والموصل، دليل العراق الرسمي لعام ١٩٣٦، مطبعة دنكور، بغداد، ١٩٣٦، ص ٧٢٥.

(١٣) عبد الرحمن سلمان الدربندي، المرأة العراقية المعاصرة ، ج١،بغداد ١٩٦٨، ص ٤٥.

(١٤) علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨، ص ٣٤٧.

(١٥) لم تحقق هذه المدارس نجاحا في الوطن العربي كونها كانت تدرس اللغة التركية، ولخوف الآباء من معلمات هذه المدارس التركيات اللواتي كن سافرات وعلي نحو مختلف مع عادات وتقاليد المجتمع العربي المحافظة. عبد الحميد الفايد، المرأة وأثرها في الحياة العربية، بيروت ١٩٨٣، ص ٩٨ .

(١٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣، بغداد، ١٩٧٢، ص ٥٨.

(١٧) عبد الرحمن سلمان الدربندي، المصدر السابق، ص ٤٦.

(١٨) باقر أمين الورد، أعلام العراق الحديث ١٨٦٩ -١٩٦٩ ، ج١، بغداد، د .ب.ص١٤٨.

(١٩) عبد الرحمن سلمان الدربندي، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢٠) زهرة خضر، رائدة من رائدات الحركة النسوية في العراق، وتعد السيدة الأولي التي تفتح مدرسة للإناث، وهي شقيقة المحامي الشهيد (عبد الرحمن خضر) دورين انغرامز، الناهضات، في العراق .ت: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد ١٩٨٥،ص١١٩.

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٢٢) عبد الرازق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤ -١٩٢١)، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٧٢- ١٧٣ .

(٢٣) التعليم النسوي في العراق بين الأمس واليوم، ((المعلم الجديد))، مجلة، بغداد، الجزء الأول والثاني، أيلول ١٩٥٣، ص٥.

(٢٤) باقر أمين الورد، المصدر السابق، ص١٤١.

(٢٥) عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٢٦) صبيحة الشيخ داود، المصدر السابق، ص٨٠ .

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٢٨) صبيحة الشيخ داود: ولدت في بغداد من أسرة دينية متحمسة لتعليم المرأة، فوالدها الشيخ احمد داود، انتسبت لكلية الحقوق في العام ١٩٣٦، وتخرجت عام ١٩٤٠، عينت بعد تخرجها مفتشاً في وزارة المعارف، وفي العام ١٩٥٦ عينت قاضياً، ثم عينت عضواً في محكمة الأحداث عام ١٩٥٨، وفي ذات العام أصدرت كتابها الشهير الأول الطريق إلى النهضة النسوية الذي تضمن شرحاً لتطوير الحركة النسوية في حقبة العهد الملكي . حميد المطبعي ، موسوعة إعلام العراق في القرن العشرين، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٩٦، ص ١١٧.

(٢٩) صبيحة الشيخ داود، المصدر السابق، ص٨١ .

(٣٠) عبد الرازق الهلالي، المصدر السابق، ص٢٥٤.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٤٤-٢٥٩.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٣٣) باقر أمين الورد، المصدر السابق، ص٢١٣.

(٣٤) فريق المزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، الجزء الأول، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢، ص٤٩٦.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٤٩٧.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٤٩٨.

(٣٧) ستار جبر ناصر، هوامش علي كتاب علي الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث)، الجزء الخامس، بغداد، ١٩٧٨، ص١٣٠.

(٣٨) فريق المزهر آل فرعون، المصدر السابق، ص٤٩٩.

(٣٩) الشيخ احمد داود: من مواليد بغداد ١٨٧٥، ينتمي إلى أسرة من العلماء،كان والده مدرساً معروفاً في بغداد درس علي يديه معظم الرجال من جبل احمد، كان وطنياً بارزاً، ألقي القبض عليه خلال ثورة العشرين ونفي إلى جزية هنجام، وسمح له بالعودة إلى بغداد في شباط (١٩٢) . انتخب لعضوية المجلس التأسيسي في آذار ١٩٢٤، وعضواً في مجلس النواب في العام ١٩٣٣. نجدة فتحي صفوة، العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة ، ١٩٨٣، ص٥٧.

(٤٠) صبيحة الشيخ داود، المصدر السابق، ص٣٠.

(٤١) د.ك.و، وزارة المعارف، ملفه ٧٠١، ٣٢١٢٠، العدد ٣٨٠/١/٢٥. تاريخ ١٩٥٣/٣/١٦ وثيقة رقم (١٥٣).

(٤٢) المصدر نفسه، وثيقة رقم (١٥٨)، مديرية المعارف العامة، الكتاب المرقم (٣٥٠) في ١٩٥٣/٣/١٢.

(٤٣) أنوار حلمي: ولدت في بغداد عام ١٩٣٣ وتخرجت من كلية الآداب قسم التاريخ في العام ١٩٥٧، ساهمت في المظاهرات الطلابية في الأعوام ١٩٤٨و١٩٥٦، ولها إسهامات في جمعية الهلال الأحمر في الأعوام ١٩٥٥و١٩٥٦. مكتبة متحف المرأة، وثيقة رقم (١٥/٤٩٣) التسلسل ١٨٨.

(٤٤) سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ١٩٢٠-١٩٥٨، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٧٨، ص٢٩٢.

(٤٥) عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الصحافة العراقية، مطبعة العرفان، ط٣، صيدا،١٩٧١، ص٤٣.

(٤٦) خالد حبيب الراوي، من أرشيف الصحافة العراقية، ص٩٥.

(٤٧) المصدر نفسه، ص٩٩.

(٤٨) مازال الوسط الصحفي غير متفق علي أول صحيفة عراقية فقسم يذكر أنها السيدة مريم نرمه والأخر يؤكد بولينا حسون، علي إن من الثابت تاريخياً أن السيدة مرين نرمه مارست العمل الصحفي منذ عام ١٩١٩ عندما نشرت مقالات سياسية ضد البريطانيين في الحقبة التي كانت مقيمة مع زوجها في البصرة ، ولكن الآنسة بولينا حسون تعد رائدة في مجال الصحافة النسائية لأنها أصدرت أول مجلة نسائية، وهي بذلك سبق لسيدة (مريم نرمه) بأكثر من عشر سنوات في إصدار مجلة خاصة بها ، فالسيدة مريم أصدرت مجلتها (فتاة العرب) في العام ١٩٣٧. حسن علي الحلي، الصحافة النسائية في العالم العربي، مجلد المرأة، بغداد العدد ١١، ١٩٧١، ص٤٥.

(٤٩) مجلة المرأة الحديثة، بغداد، العدد الأول حزيران،١٩٣٦ .

(٥٠) خالد حبيب الراوي، المصدر السابق، ص٤٨.

(٥١) مجلة فتاة العراق، بغداد، العدد(٦)، ٧ تشرين الثاني، ١٩٣٦.

(٥٢) مريم نرمه: ولدت في بغداد عام (١٨٩٠)، والدها رفائيل يوسف رومايا، تعد من أقدم الصحفيات في العراق والتي مارست العمل الصحفي من عام ١٩٢٠، أقيم لها في ١٩ مايس

١٩٤٥ احتفالاً بمناسبة اليوبيل الفضي لمشاركتها في النشاط الأدبي عن طريق الصحافة. صبيحة الشيخ داود المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٥٣) فائق بطي ، الموسوعة الصحفية العراقية، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٦، ص ١٣٦.

(٥٤) المصدر نفسه، ص١٧٧.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٩٠.

(٥٦) مجلة الاتحاد النسائي العراقي، بغداد ،العدد الأول، مايس ١٩٥٠، ص٣.

(٥٧) إبراهيم خليل احمد، الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية، (حضارة العراق)، ج١٣، بغداد، ١٩٨٥، ص١٥٣.

(٥٨) عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١، ص١٥٣.

(٥٩) المصدر نفسه، ص١٥٤.

(٦٠) عبد الرحمن سلمان الدربندي، المصدر السابق.

(٦١) عصمت السعيد، هدفنا مستوي الشعب، مجلة الاتحاد النسائي العراقي، بغداد، العدد الثالث والعشرون والرابع والعشرون، آذار ونيسان، ١٩٥٢، ص٩.

(٦٢) صبيحة الشيخ داود، المصدر السابق، ١٧٧.